The International Journal of Islamic Studies and Culture (IJISC)
Volume 1, No. 2, November 2022
ISSN: 2948-3778 e-ISSN: 2948-3913 https://ijisc.unishams.edu.my

الفكر النحوي عند رفاعة الطهطاوي في ضوء كتابه "التحفة المكتبية في تقريب اللغة العربية"

د/ محمد عزيز عبد المقصود

د/ رضا عويس حسن سرور

جامعة السلطان عبد الحليم معظم شاه الإسلامية العالمية

ملخص البحث

تُعد اللغة مرآة المجتمع ووعاء الفكر، ويسعى علماء كثر إلى تقديم ما لديهم من جهود علمية في مواجهة تطور المجتمع وتعدد تياراته الفكرية. ومن هؤلاء العلماء الذين أسهموا بجهد كبير في خدمة اللغة العربية من خلال تجديد نحوها وتطويره، زعيم النهضة الثقافية "رفاعة الطهطاوي" الذي يعد أحد أركان النهضة العلمية المصرية في العصر الحديث من خلال سفره "التحفة المكتبية في تقريب اللغة العربية". وثمّة أهداف لهذه الدراسة تتمثل في التعرف على حياة الطهطاوي وكتابه، ومعرفة منهجه في التأليف، وتناول ملامح فكره النحوي، وبيان أهم مظاهر التجديد والتطوير في الدرس النحوي في ضوء دراسة بعض النصوص من كتابه، وتطرح الدراسة عدة أسئلة منها، من رفاعة الطهطاوي؟ وما كتابه؟ وما منهجه في التأليف؟ وما ملامح فكره النحوي؟ وهل هناك سمات للتجديد والتطوير لديه في الدرس النحوي؟ وقد اعتمدت على المنهجين الوصفي والتحليلي. وتوصلت الدراسة إلى بعض النتائج من أهمها: أن الطهطاوي أسهم بجهد كبير في الدرس النحوي من خلال تقديم مصنفه "التحفة المكتبية في تقريب اللغة العربية" الذي يعد – لبساطته ووضوح غايته الوظيفية، وجود معالجته – نموذجا طيبا للنحو المصفى. وأنه اهتم بأصول النحو من خلال استشهاده بشواهد من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف والشعر وأقوال العرب من أمثال وغيرها.

الكلمات المفتاحية: الفكر النحوي – رفاعة الطهطاوي – التحفة المكتبية.

التمهيد

أسئلة البحث:

1- من رفاعة الطهطاوي؟ وما كتابه؟ وما أبرز معالم منهجه فيه؟
2- ما ملامح فكر الطهطاوي في كتابه؟
3- أهناك سمات للتجديد والتطوير لدى الطهطاوي في كتابه؟

أهداف البحث:

1- ذكر نشأة رفاعة الطهطاوي والتعريف بكتابه التحفة المكتبية، وبيان أبرز معالم منهجه فيه.
2- بيان ملامح فكر الطهطاوي في كتابه.

3- توضيح أبرز سمات التجديد والتطوير لدى الطهطاوي في كتابه.

منهج البحث:

إن المنهج المتبع في هذا البحث قائم على المنهجين الوصفي والتحليلي؛ حيث يصف ملامح الفكر النحوي للطهطاوي في ضوء أصول النحو عنده من خلال استشهاده بشواهد من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف والشعر وأقوال العرب من أمثال وغيرها، وتحليل أهم مظاهر التجديد والتطوير في الدرس النحوي في ضوء دراسة بعض النصوص من كتابه التي جعلته ذا نظرة ثاقبة وقراءة متمعنة لما قدمه السابقون.

من أهم الدراسات السابقة:

لم أعثر –فيما أتيح لي – على دراسات تفردت بدراسة الطهطاوي نحويا إلا ما وجدته من الدراستين الآتيتين؛ حيث اعتمدت على الدراسة الأولى في تناول أبرز ملامح فكر الطهطاوي، وأما الدراسة الثانية فقد اشتملت على كتاب التحفة المنشور بها.

1- منهج رفاعة الطهطاوي النحوي في ضوء كتابه التحفة المكتبية في تقريب اللغة العربية. محمد كشّاش، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، العدد 72.

2- الأعمال الكاملة لرفاعة رافع الطهطاوي الجزء الأول والجزء الخامس دراسة وتحقيق د. محمد عمارة، طبعة دار الشروق 2010م.

المبحث الأول: رفاعة الطهطاوي حياته وكتابه ومنهجه

حياته:[1]

مولده: ولد رفاعة رافع الطهطاوي في مدينة طهطا إحدى مدن محافظة سوهاج بصعيد مصر (1216-1290هـ= 1801- 1873م)، ويتصل نسبه بالحسين السبط، وهو عالم مصري يعد من أركان النهضة العلمية في العصر الحديث، قصد القاهرة سنة 1223هـ، فتعلم في الأزهر، وقد أرسلته الحكومة المصرية إماما للصلاة والوعظ مع بعثة من الشبان أوفدتهم إلى أوروبا؛ لتلقي العلوم الحديثة، فدرس الفرنسية، وثقف الجغرافية والتاريخ، ولما عاد إلى مصر ولي رئاسة الترجمة في المدرسة الطبية، وأنشأ جريدة "الوقائع المصرية"، وألف وترجم عن الفرنسية كتبا كثيرة.

أبوه: بدوي بن علي بن محمد بن علي بن رافع، ويتصل نسبه بأشراف الصعيد وعلمائه.

(1) خير الدين الزركلي، الأعلام، الطبعة الخامسة عشرة دار العلم للملايين، 2002، 3/ 29، جرجي زيدان تاريخ آداب اللغة العربية، تعليق د. شوقي ضيف، طبعة دار الهلال 4/ 268، الأعمال الكاملة لرفاعة رافع الطهطاوي دراسة وتحقيق د. محمد عمارة، طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب 1/ 41 وما بعدها

أمه: السيدة: فاطمة بنت الشيخ أحمد الفرغلي، ويتصل نسبها بالأنصار، وتحديدا بقبيلة الخزرج.

عائلته: مما يميز عائلة الطهطاوي أنهم من الأشراف والصالحين، وكانوا يعدون من الأغنياء في ذلك الوقت حتى قبيل إلغاء محمد علي باشا الامتيازات التي كانوا يتمتعون بها آنذاك؛ مما اضطر والد الطهطاوي إلى الهجرة الداخلية من مدينة لأخرى بحثا عن الاستقرار والحياة الكريمة.

كتاب التحفة المكتبية في تقريب اللغة العربية:

نشر كتاب الطهطاوي "التحفة المكتبية في تقريب اللغة العربية" ضمن الأعمال الكاملة له، وتحديدا في الجزء الخامس منها الذي جاء بعنوان "في الدين واللغة والأدب"، الذي يبدأ من صفحة 161 حتى 366، وتحت العنوان كتب:

كلام بلا نحو طعام بلا ملح *** ونحو بلا شعر ظلام بلا صبح

وقد استهل الطهطاوي تحفته ووصفها وصفا دقيقا، وبين سبب تسميتها بهذا الاسم في قوله: "الحمد لله الذي جعل النحو للكلام كالملح للطعام.. تفي بالمرام، لجزالة اللفظ وحسن الانسجام، لا سيما وأنها مصوغة على أسلوب جديد، يقرب البعيد للمريد المستفيد؛ فلهذا سميتها بالتحفة المكتبية في تقريب اللغة العربية، فهي جديرة بأن تعد من المحاسن التجديدية"[1]

وقد أشار الطهطاوي إلى أنه رتب كتابه على عدة أبواب[2]، وقد جعلها خمسة عشر بابا بدأها بالباب الأول في الكلام وأقسامه، وأنهاها بالباب الخامس عشر في الجمل الخبرية ، وهو في تقسيمه هذا ينهج نهج كثير من علماء العربية في تقسيمات أبواب النحو، ونلحظ كذلك أن البابين العاشر والحادي عشر قد فصل فيهما الطهطاوي كثيرا من المسائل النحوية المتعلقة بعوامل الرفع والنصب في الأسماء والأفعال.

مذهبه النحوي:

- من خلال الأبواب الخمسة عشر نلحظ أن الطهطاوي في مذهبه كان يميل إلى الانتخاب والاختيار من المدارس النحوية عامة، فتارة يرجح مذهب البصريين، وأحيانا أخرى يرجح مذهب الكوفيين، وفي مرات عدة ينفرد برأي مستقل.

فمثلا يقول منتخبا رأي الكوفيين في علامات الخفض: "ألقاب الإعراب أربعة وهي الرفع والنصب والخفض والجزم.."[3]

(1) الطهطاوي، التحفة المكتبية في تقريب اللغة العربية، طبعة دار الشروق، القاهرة ص163، 164

(2) السابق ص164

(3) الطهطاوي التحفة المكتبية ص182

ومن الآراء التي انفرد بها قوله في التوكيد:"وكما يكون التوكيد اللفظي بلفظ المؤكد يكون بمرادفه، نحو: جلس قعد، وليث أسد، وقد يكون التأكيد أيضا بموافق المؤكد، نحو: زيد عطشان نطشان، وعمرو حسن بَسَن، ونحو ذلك".[1] وكذلك عند حديثه عن كان وأخواتها وما ألحق بها في العمل في المرفوعات"ويلحق بصار منها ما كان بمعناها من أفعال التحويل.. والقسم الثالث الذي يعمل عمل صار، ويؤدي معناها.. وهي: آض، رجع، عاد، استحال، قعد، حار، ارتد، تحول، غدا".[2]

وأيضا رؤيته التفسيرية لتنوين الممنوع من الصرف للمناسبة؛ حيث يقول: "وحكم الاسم الذي لا ينصرف أنه لا يدخله كسر ولا تنوين تمكين، إلا لتناسب الكلام، نحو سلاسلا وأغلالا"[3] وهذا يدل على:

- حسن تعليله في الأمثلة التي ضربها تطبيقا للقاعدة حال مخالفتها الأصل الذي بنيت عليه، ومن ذلك قوله في بيان علامات الأفعال:" ومن علامات الفعل الماضي تاء التأنيث الساكنة أصالة، نحو قامتْ هند، وقالتِ امْرأة العزيز، وتحريكها في المثال الأخير؛ لالتقاء الساكنين".[4] فقوله:"لالتقاء الساكنين" تعليل لمخالفة تحريك تاء التأنيث الساكنة بالكسر.
- جودة الربط بين أبواب كتابه ربطا محكما؛ بحيث يتبين للقارئ والدارس أن قواعد النحو لحمة واحدة، ومن ذلك ربطه بين البابين الخامس والسادس؛ حيث يقول في نهاية الباب الخامس: "ولا يفيد الكلام السامع إلا إذا كان صحيح التركيب، ولا يكون صحيح التركيب إلا برفع ما حقه الرفع، ونصب ما حقه النصب، وجر ما حقه الجر، وجزم ما حقه الجزم، وهذا يسمى إعرابا".[5] ثم جعل عنوان الباب السادس "في الإعراب والبناء".[6]

  وكذلك ربطه بين البابين السابع والثامن؛ حيث يقول في نهاية الباب السابع: "ولكل واحد من ألقاب الإعراب والبناء علامات".[7] ثم جعل عنوان الباب الثامن "في علامات الإعراب".[8] وهكذا.
- عدم مخالفته النحويين في المجمع عليه من القواعد، ومن ذلك قوله:"وأما الحروف فجميعها مبنية؛ ولذلك يقول النحويون: قاعدة كلية الحروف كلها مبنية، ولم يخرج من الحروف شيءعن أصل البناء"[1]

---

(1) السابق ص218

(2) السابق ص206، 208

(3) السابق ص 188، وهو يعني قوله تعالى:" إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلا وَأَغْلَالًا وَسَعِيرًا". (الإنسان: 4).

(4) السابق ص177

(5) السابق ص178

(6) السابق ص179

(7) السابق ص183

(8) السابق ص184

- ميله إلى الجانب التطبيقي أكثر من النظري من خلال كثرة المثلة والتدريب على فهم القاعدة لا حفظها، ومن ذلك حديثه عن علامات الأسماء؛ حيث بين بشرح واف كيفية معرفة الاسم من غيره من خلال عرض الكلمة على علامات الأسماء، وفي هذا يقول:" إذا أردنا أن نعرف كلمة هل هي اسم أو غير اسم فإنا نعرض عليها علامات الاسم، فمتى قبلت ولو علامة واحدة منها علمنا أنها اسم، فلفظ "كم" لا يقبل دخول الألف واللام، ولا التنوين، ولا النداء، وإنما يقبل باء الجر، نحو بكم درهم اشتريت هذا الفرس؟ فبقبوله للباء عرفنا أنه اسم، وقس على ذلك من وما وغيرهما"[2]
- ونلحظ كذلك أنه في بعض الأبواب، وبعدما يفرغ من الشرح والتوضيح يردف كلامه ببعض الجداول التوضيحية؛ ليسهل المادة العلمية التي شرحها في صورة مختصرة، ومن ذلك جدول علامات الإعراب[3]، وجدول المرفوعات[4]، وجدول ضمائر الرفع المتصلة والمنفصلة[5]، وجدول مبتدآت الضمائر المنفصلة والمبهمات وأخبارها[6]، وجدول أقسام البدل في الأسماء والأفعال.[7]
- وكذلك يقوم في نهاية كل باب بعمل ملخص لما تم شرحه في صورة موجزة من باب التسهيل والتقريب، ومن ذلك قوله في نهاية الباب التاسع:"فنخلص من هذا ومما سبق أن الإعراب ثلاثة أقسام: إعراب لفظي، كجاء زيد، ورأيت زيدا، ومررت بزيد، وإعراب تقديري، كجاء الفتى، ورأيت الفتى، ومررت بالفتى، وإعراب محلي، كجاء هؤلاء، ورأيت هؤلاء، ومررت بهؤلاء".[8]

المبحث الثاني ملامح فكر الطهطاوي في كتابه

تتجلى أهم ملامح فكر الطهطاوي في كتابه في عدة قضايا نتناول منها ما يخص أصول النحو عنده التي اعتمد فيها على السماع والإجماع والقياس شأنه في ذلك شأن أسلافه ممن صنفوا في النحو العربي.

وقد ظهر الأمر جليا في الاستشهاد بآيات من القرآن الكريم، واهتمامه بالقراءات القرآنية، وكذلك الشواهد الحديثية والشعرية والنثرية من كلام العرب ولغاتهم ولهجاتهم.

---

(1) السابق ص181
(2) السابق ص176
(3) السابق جدول1 ص 190
(4) السابق 196
(5) السابق 198
(6) السابق 202، 203
(7) السابق ص223
(8) السابق ص 194

القرآن الكريم:

كان الطهطاوي يستشهد بآيات قرآنية في معظم كتابه خاصة عندما يقرر قاعدة محددة، ومن ذلك قوله في معرض حديثه عن مجيء المبتدأ نكرة:" وقد يكون المبتدأ نكرة كما يكون الخبر معرفة، فيكون المبتدأ إذا تخصص بالوصف، نحو:" وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ".(1)

ومنه كذلك قوله في حديثه عن بناء الفعل المضارع(2): "فإذا اتصلت به نون النسوة، نحو "وَالْمُطلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ"(3) يبنى على السكون، أو باشرته نون التوكيد، نحو" لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِنَ الصَّاغِرِينَ"(4).

وأيضا قوله:" ومن مجيء الحال من الفاعل قوله تعالى: "فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ"(5).

القراءات القرآنية:

تتعدد أماكن الاستشهاد بالقراءات القرآنية في تحفة الطهطاوي، ومن ذلك ما ذكره في نصب المضارع في قوله تعالى:" وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ"(6)؛ حيث يقول" قرئ بالرفع والنصب؛ نظرا إلى حكاية الحال، وإلى أن قول الرسول والمؤمنين مستقبل بالنظر إلى الزلزال، والنصب بحتى التي بمعنى إلى بأن مضمرة وجوبا".(7)

ومنه قوله تعالى:" تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ"(8)؛ حيث يقول: "قرئ بالرفع والنصب، فالرفع على التخيير بين المقاتلة والإسلام، أو على تقدير مبتدأ، والنصب على معنى تقاتلونهم إلى أن يسلموا".(9)

ونلحظ أن الطهطاوي جعل القراءات ثابتا من الثوابت التي أكد بها قواعده النحوية التي تناولها في مواضع مختلفة.

الحديث الشريف:

استشهد الطهطاوي بالحديث الشريف كما استشهد بالقرآن الكريم، ومنه قوله في الجمل التي لها محل من الإعراب، وذكر منها جملة الحال: "الواقعة حالا، اسمية كانت أو فعلية، فالأولى نحو قوله صلى الله عليه وسلم: "أقربُ ما يكونُ العبدُ من ربهِ وهو ساجدٌ"(10)، فجملة وهو ساجد من المبتدأ والخبر في محل نصب على الحال من فاعل يكون، وهو العبد سد مسد خبر المبتدأ، أو من الفاعل المستتر في كان التامة المحذوفة؛ وذلك أن أقرب أفعل تفضيل

(1) البقرة: من الآية 221
(2) الطهطاوي، التحفة ص224
(3) البقرة: من الآية 228
(4) يوسف: من الآية 32
(5) القصص: من الآية 21
(6) البقرة: من الآية 214
(7) الطهطاوي، التحفة ص285
(8) الفتح: من الآية 16
(9) الطهطاوي، التحفة ص285
(10) أخرجه مسلم (482) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

مبتدأ وما مصدرية يسبك مدخولها بمصدر، ويكون مضارع كان الناقصة والعبد اسمه، ومن ربه متعلق بمحذوف خبره، أي كائنا أو منتسبا من ربه، وخبر المبتدأ محذوف وجوبا لسد الحال التي لا تصلح خبرا مسده تقديره إذا كان، فإذا ظرف متعلق بمحذوف خبر المبتدأ، وكان تامة بمعنى وجد، وفاعله مستتر فيه جوازا تقديره هو يعود على العبد، فالضمير هو صاحب الحال، وجملة كان في محل جر بإضافة إذا إليها، أي حاصل وقت وجوده والحال أنه ساجد".[1]

الشعر:

"أكثر الطهطاوي من الاستشهاد بأشعار العرب، وقد بلغت الشواهد عنده خمسة وثمانين (85) شاهدا، ورد بين بيت وشطر، ويمكننا القول في ضوئه: إن الشعر دخل –تقريبا– كل باب ومسألة في الكتاب؛ نظرا إلى ارتفاع عدد الشواهد نسبيا في كتاب صغير الحجم كهذا".[2]

ونجده في استشهاده بالشعر يتبع أسلافه ممن ذكروا شواهد نحوية، فمرة يذكر اسم الشاعر، وأحيانا يتركه، وتارة يذكر البيت كاملا، وأخرى يكتفي بشطره.

ومن ذلك قوله في الجمل التي لا محل لها من الإعراب ذاكرا البيت كله، ولم يذكر صاحبه: "ومن الجمل المستأنفة الواقعة بعد حتى الابتدائية، نحو قول الشاعر[3]:

وَمَا زَالَتِ القَتْلى تَمُجُّ دِمَاءَها * بَدجْلَةَ حتَّى مَاءُ دِجْلَةَ أَشْكَلُ

فماء مبتدأ وأشكل خبره، والجملة مستأنفة لا محل لها من الإعراب"[4].

وكذلك قوله ذاكرا البيت كله واسم صاحبه:" وقد اجتمع تعلق الجار والمجرور بفعل ومصدر في قول ابن دريد في مقصورته:

وَاشتَعَلَ الْمُبيَضُّ في مُسوَدِّهِ *** مِثلَ اِشتِعالِ النارِ في جَزلِ الغَضا[5]

ففي مسوده متعلق بفعل وهو اشتعل، وفي جزل متعلق بمصدر وهو اشتعال".[1]

---

(1) الطهطاوي، التحفة ص317

(2) محمد كشاش، منهج رفاعة الطهطاوي النحوي في ضوء كتابه التحفة المكتبية في تقريب اللغة العربية، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، العدد 72 ص 15

(3) البيت من الطويل، وهو لجرير، ويروى فما زالت، ورواية الديوان "تمور"، جرير بن عطية الخطفي، ديوان جرير، طبعة دار بيروت للطباعة والنشر،1406هـ- 1986م، ص 367، عبد القادر بن عمر البغدادي خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، تحقيق عبد السلام هارون، الطبعة الرابعة، مكتبة الخانجي 3/ 415

(4) الطهطاوي، التحفة ص321

(5) البيت من الكامل، عبد القادر بن محمد المبارك، شرح مقصورة ابن دريد، تحقيق د. إبراهيم عبد الله، الطبعة الأولى،1435هـ- 2014م، ص68

وكذلك قوله في المستثنى بلا يكون وليس وعدا وخلا:" والمستثنى بلا يكون وليس وعدا وخلا منصوب أبدا.. فإذا تقدمت ما المصدرية على خلا وعدا فليس فيهما إلا النصب على المفعولية، تقول: قام القوم ما خلا زيدا، وما عدا عمرا، قال لبيد[2]:

أَلا كُلُّ شَيءٍ ما خَلا اللهَ باطِلُ *** وَكُلُّ نَعيمٍ لا مَحالَةَ زائِلُ

ولا تسبك ما بعدها بمصدر؛ لنه جامد لا ينسبك"[3].

وأحيانا يكتفي بذكر شطر بيت يستشهد به لموضع نحوي، ويذكر شاعره أحيانا، ويهمله أحيانا أخرى، ومن ذلك قوله:" والمستثنى بلا سيما يجوز فيه الجر والرفع، نحو لا سيما زيدٍ، ولا سيما زيدٌ، قال امرؤ القيس[4]:

ولا سيّما يومٍ بدارَةِ جُلْجُلِ

يروى مجرورا ومرفوعا: فالجر على إضافة سي إليه وزيادة ما، والرفع على أنه خبر صدر الصلة المحذوف، أي لا مثل اليوم الذي هو يوم دار جلجل"[5].

ومما اكتفى بذكر شطر بيت دون ذكر صاحبه قوله في معرض حديثه عن المفعول المطلق ونائبه: "ومن ذلك أيضا ما يدل على عدد المصدر، نحو ثمانين جلدة، أو على آلته كضربته سوطا، أو وقته نحو:

أَلَمَ تَغتَمِض عَيناكَ لَيلَةَ أَرمَدا[6]

ويعلق كشّاش على قلة نسبة الطهطاوي الأبيات الشعرية التي ذكرها لأصحابها، وتركه كثيرا منها بلا نسبته: "ولم يعن الطهطاوي بنسبة الأبيات أو الشطور إلى قائليها، وهو وإن ذكر اسم الشاعر، فقد أثبت القليل منهم، من نحو: لبيد بن ربيعة، وامرئ القيس، وميسون زوجة معاوية، وابن دريد، والشاطبي، والحريري، وعلة ذلك أن شواهده في أغلبيتها معروفة ومتداولة في مؤلفات التراث النحوي وشروحاته كـ"أوضح المسالك" لابن هشام وسواه، واللافت للنظر أن شواهد الطهطاوي الشعرية التزمت الإطار الزماني والمكاني لعصر الاحتجاج الذي وضعه علماء العربية".[7]

---

(1) الطهطاوي، التحفة ص 332

(2) البيت من الطويل، لبيد بن ربيعة العامري، ديوان لبيد، طبعة دار صادر، بيروت، ص 132

(3) الطهطاوي، التحفة 260

(4) البيت من الطويل، وصدره: ألا ربَّ يومٍ لك مِنْهُنَّ صالح، امرؤ القيس، ديوان امرئ القيس، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الرابعة دار المعارف، ص11

(5) الطهطاوي، التحفة ص260

(6) مطلع قصيدة للأعشى من الطويل، وتكملته: وَعادَكَ ما عادَ السَليمَ المسَهَّدا

(7) منهج رفاعة الطهطاوي ص16، 17

النثر من أقوال العرب وأمثالهم:

"لم يغب عن بال الطهطاوي ما في كلام العرب الفصحاء المتمثل بالأمثال وسواها... من الأهمية في باب النحو العربي، وقد انعكس هذا في مؤلفه الذي حضن في تضاعيفه شيئا منها".[1]

ومن ذلك ما ذكره من قول العرب في حديثه عن نصب المضارع بعد فاء السببية المسبوقة بتمن:"ومثال النصب في جواب التمني قولك: ليت لي مالا فأحج منه".[2]

اللغات واللهجات:

تناول الطهطاوي بعض اللغات واللهجات باختصار في كتابه في مواضع متفرقة، ومن ذلك ما أشار إليه في جدول القسم الرابع عن الحروف المشبهات بليس:

عدد	عوامل	أسماء	أخبار	ملحوظات
1	ما الحجازية	ما هذا	بشرا	وأهل تميم يهملونها، فيقولون: ما هذا بشر.[3]

وسبق أن أشرنا إلى رواية الجر والرفع في قول امرئ القيس: ولا سيّما يومٍ بدارَةِ جُلْجُلِ

المبحث الثالث: سمات التجديد والتطوير لدى الطهطاوي في كتابه

الطهطاوي صاحب قضية، وفرق كبير بين من يصنف من أجل التصنيف، ومن يكون مهموما بأمور أمته، ويحمل على عاتقه أمانة كبرى، يظل يبحث دائما عن كل ما يعينه نحو تقديم كل ما هو نافع ومفيد لأمته، وقد وضع الطهطاوي يده على أساس المشكلة التي عانى منها متعلمو النحو العربي من جمود في صياغة القاعدة، وحشو في الفروع التي ما إن دخل فيها متعلم إلا ووجد نفسه في دهاليز شاسعة، وطرق متداخلة، وأنى له أن يعرف مخارجها؟! ومن يتصفح كتاب التحفة لأول وهلة يدرك أنه مختلف كثيرا عما سبقه من المصنفات في كثير من المسائل التي احتوى عليها؛ حيث تجلى الأمر في عدة نقاط يمكن إيجازها فيما يأتي:

أولا: تبويب الكتاب في خمسة عشر بابا أوجز فيها الطهطاوي قواعد النحو في صورة مصفاة؛ مما يسهم في إقبال المتعلمين على دراسة النحو دراسة يسيرة في صورة مبسطة.

ثانيا: تقديم الطهطاوي أبوابه تقديما جيدا؛ حيث جنح إلى النحو الوظيفي أكثر من التنظير للقاعدة، وإن كان هذا لا غنى عنه، لكنه مما ميز التحفة كثرة الأمثلة التطبيقية السهلة بعيدا عن التعقيدات التي ملئت بها كتب القدامى.

(1) منهج رفاعة الطهطاوي ص 15

(2) الطهطاوي، التحفة ص281، وينظر القول أيضا في ص211

(3) الطهطاوي، التحفة ص209، 229

ثالثا: قدرة الطهطاوي اللغوية في معالجة قضايا الخلاف بين النحويين، والنأي عنها قدر الإمكان؛ لأنه يدرك يقينا أنه يقدم سفرا يسيرا لمتعلمي النحو العربي، وقد أدرك أن هناك عزوفا عن تعلم قواعد النحو العربي بسبب جمود قواعده وكثرة فروعه، فخلص إلى أنه يريد تقديم نحو مصفى، فكان له ما أراد.

رابعا: شمول الكتاب على ثلاثين جدولا جعلها الطهطاوي تلخيصا عقب كل باب يشرحه يردفه بجدول يلخص من خلاله ما تم عرضه من قبل، أو يوجز فيه أمثلة تقرب للمتعلم القاعدة في قالب مباشر بلا تعقيد أو غموض.

خامسا: نظم الطهطاوي جمال الأجرومية، وهي المنظومة التي أنشأها فضمنها قواعد النحو العربي التي تضمنتها "الأجرومية"، وهو بهذا العمل يصوغ تلك القواعد في قالب نظمي لمن يستهويه هذا الفن، وهو بهذا العمل يدرك أن الأجرومية لها شأن عظيم في هذا الأمر، وإن كان نظم الطهطاوي لم ينل مثلما نالت الأجرومية، لكنه على يقين أن كل بيئة يناسبها نمط معين، وهو بهذا يراعي المتلقي في قبوله قواعد لغته بطريقته التي يجنح لها.

يقول الطهطاوي في مطلع نظمه[1]:

عَنْ حَمْدِ ذِي الْجَمْدِ اللّسَانُ يُرْبُ *** مُعرّفا ما للضميرِ يُنسبُ

يشيرُ بالصلاةِ والسلامِ *** نحوَ نبي رافعِ الأعلامِ

محمدٍ مصدرِ كلّ علمٍ *** ومظهر الحق بحكم الجزم

وراغبٌ بهِ اكتسابَ الأجرِ *** وطالبٌ حسنَ الثّنا والذكرِ

فلا عَجيبَ أنْ نظمْتُ نفْسي *** في سلكهم إذ حسُن التّأَسي

ويقول في ختام نظمه[2]:

قدِ انْتهَى جمالُ الأجروميَة *** بكرًا عروبا غيرَ أعجميَّة

والحمدُ للهِ على الإعرابِ *** عمّا انْطوى فيها بلا إغرابِ

وأفضلُ الصلاةِ والتحيةِ *** علَى النبي سيدِ البريّة

وآلهِ وصحبِهِ الكرام *** في حُسنِ مبدأٍ وفي اخْتِتام

ولقد فهم الإمام الطهطاوي فضل اللغة وأهمية النحو في الكلام، وهو فهم عميق دقيق لا يعيه إلا من أوتي بصرا وبصيرة، ليعرف أن" النحو للكلام كالملح للطعام"[3]؛ ولذلك سعى إلى تبسيطه وتقريبه لمريده.[4]

(1) الطهطاوي، التحفة ص349، 350

(2) السابق ص366

(3) الطهطاوي، التحفة المكتبية ص163

(4) منهج رفاعة الطهطاوي النحوي ص27

وقد أشار كشّاش إلى بعض هذه السمات باختصار في قوله:" والتحفة المكتبية له دور لا يُغفل في تبسيط قواعد اللغة العربية..؛ لما فيه من بساطة العرض، وحسن التناول، وجودة المعالجة، بعيدا عن الغموض والإبهام، وكل ما يبعث على التعقيد والاستبهام".[1]

الخاتمة

أولا: النتائج:

أولا: أن الطهطاوي كان صاحب مذهب أصيل في انتقاء آرائه واختيارها، فلم يك ناقلا فحسب، بل كان ذا شخصية مبدعة، وقد تمثل ذلك في اهتمامه بالجانب الوظيفي للغة، وحسن تقديمه أبواب كتابه، وجودة الربط بين تلك الأبواب.

ثانيا: أن الطهطاوي انفرد بعدة آراء دلت على بعد نظره وقراءته لما قدمه السابقون، وهذا دليل على أصالة الدرس النحوي عنده.

ثالثا: أن الطهطاوي أسهم بجهد كبير في الدرس النحوي من خلال تقديم مصنفه "التحفة المكتبية في تقريب اللغة العربية" الذي يعد – لبساطته ووضوح غايته الوظيفية، وجود معالجته – نموذجا طيبا للنحو المصفى.

رابعا: أن الطهطاوي اهتم بأصول النحو من خلال استشهاده بشواهد من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف والشعر وأقوال العرب من أمثال وغيرها.

ثانيا: التوصيات:

أوصي الباحثين والمهتمين من المؤسسات التعليمية الذين يريدون تقديم مؤلف بسيط وسهل لطلابنا في المعاهد العليا وسنوات الجامعة الأولى أن يعتمدوا كتاب الطهطاوي منهجا في تعليمية النحو؛ لبساطته وغايته الوظيفية التي تؤهل المتعلمين إلى استيعاب مبادئ النحو وأصوله، ومن ثم تأخذ بأيديهم نحو الولوج إلى كتب التراث والإفادة منها كثيرا.

المصادر والمراجع:

1- البغدادي، عبد القادر بن عمر، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، تحقيق عبد السلام هارون، الطبعة الرابعة، مكتبة الخانجي.
2- جرجي زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية، تعليق د. شوقي ضيف، طبعة دار الهلال.
3- الجزائري، الشيخ عبد القادر بن محمد المبارك الحسني، شرح مقصورة ابن دريد، تحقيق د. إبراهيم عبد الله، الطبعة الأولى، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، 1435هـ- 2014م.

(1) السابق 31

4- الخطفي، جرير بن عطية، ديوان جرير، طبعة دار بيروت للطباعة والنشر،1406هـ- 1986م .

5- الزركلي، خير الدين، الأعلام، الطبعة الخامسة عشرة دار العلم للملايين، 2002.

6- الطهطاوي، رفاعة رافع، التحفة المكتبية في تقريب اللغة العربية، طبعة دار الشروق، القاهرة.

7- العامري، لبيد بن ربيعة، ديوان لبيد، طبعة دار صادر، بيروت، د.ت.

8- د. محمد عمارة، الأعمال الكاملة لرفاعة رافع الطهطاوي، طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب.

9- محمد كشّاش، منهج رفاعة الطهطاوي النحوي في ضوء كتابه التحفة المكتبية في تقريب اللغة العربية، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، العدد 72

10- امرؤ القيس، ديوان امرئ القيس، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الرابعة دار المعارف، د.ت.